رواية

صبار عبق

ماهر دعبول

رواية

حصار عبه

ماهر دعبول

سوريا 2016

الإهداء...

لكِ أولاً..

لكل الذين حملوا بعضي وساندوه ولكل الذين رأوا وطني وأسعدوه..

لكل ابتسامة في دنيا القهر تقاوم الطائرات..

لكل حلم يريد أن يثب كما النجمات..

أهديكم كتابي..

أما أنتم يا من آلمتم وطني فلا تقرئوا كي لا تشعروا بالذنب إذا قرأتموه...

المقدمة بقلم هبة الحريري:

بتُّ الآن مقتنعةً أن الروايات التي تحتوي أحداث كثيرة وتشويقاً والكثير من الحبكات ليست إلا للتعميّة على ضعف الكاتب وعدم إمكانيته في أن يكون ينبوعاً دفاقاً من الرقة..

هذه الرواية لا تُقرأ إلا بالروح..

كم الظلم والوجع الذي فيها آلمني وآلمتني نهايتها..

سيهطل المطر ويزول السواد عن هذه البلاد التي طال حزنها أكثر مما يلزم!

وستختبئون خوفاً من أن تحترقوا كما تحترق الساحرة الشريرة في القصص وسيطل قوس قزح بألوانه ال 28 نعم ال 28، ليوقف ما تبقى من طائراتكم المهترئة من الدخول فما تبقى لكم عندنا استعملناه لنصنع ملجئ لمن أخذتم بيته وأهله وسعادته فهل تعترضون!

من أين ابدأ؟!

عن وجعٍ داكن، صمتٍ ثائر، ضحكاتٍ باكية، عيونٍ دامعة، قلوبٍ مكسورة، أفكارٍ تائهة، رجوعٍ ممنوع..

من أين ابدأ؟!

عن حرب، ألم، ظلم، اختناق، ضمير مات، وبرودة الأحاسيس وكأن أنفسنا بعزاء..

صرخاتٌ تطلق بداخلنا حاملة معها آلاف الآهات!!

وفي ريعان شباب أرواحنا التي أضحت متهالكة بجسد سبعيني..

تحمل وجعاً بحجم ألم أُمٍّ صماء تشتاق سماع صوت ابنها..

ما زالت أتساءل ترتيب تلك البدايات، لعل الداء أصابها وشلت أسى النهايات..

أن تشهد اختناق الياسمين..

أن تنتحب على وطن لم يشفى بعد..

أن تُغرب قسراً، جُرحاً دامٍ لا يبرأ..

أن تقرأ هذه الرواية..

هبة الحريري.

لم يكن لدي ذاك اليوم تخيل أو مساحة خيال

لأتمكن من توقع ما حدث وما يحدث ....

كانت غيوم السماء تبشرني بأمطار لم تهطل ولما تهطل وتأخر هطولها

وجفاف الأنهار والوديان جعل من العطش شعوري الدائم والمستمر..

فحدث ما يجب أن أتوقعه لكن لم أتوقعه

فشل الخيال وفشلت.

واليوم أدور والأفكار تفجعني

كيف؟ ومتى؟ وأين؟

فهل غداً تهطل السماء أمطاراً؟؟

البداية

عبق الياسمين ينشر في شوارع دمشق أرواحاً من عشق ويجعل من أضواء المساء رونقاً من تنسك هيامي هادئ.

ياسمين دمشق تلك المعزوفة التي تمتد لآلاف السنين إلى حيث البداية، بداية أول تخاطر عشقي بها.

في عيون الدمشقيين تجد صدق الياسمين ومحبته ولهفته ورونقه الأزلي...

وفي عيون الدمشقيات بحوراً وأنهاراً وأزهار الشقيق وألف حكاية.

لنسيم دمشق عبق رائحته تملأ روح كل السوريين عطر من طيب عطر سوري يعبق بأجواء سوريا بعطر أصيل.

منذ ولدت والياسمين يتحرك في خلايا قلبي والروح تتشبع بالياسمين...

لكم أحببت الياسمين وكم أعطاني لذة في الروح، جميل هو الياسمين وبهية هي دمشق راسخة في قلب غراماتنا وفي حروف خطت ذكرياتنا.

حاولت جاهدة البحث عن سر عمق ذاك الأثر فينا، أثر تتركه الشوارع والأرصفة في مدى من خطو عليها.

لم أعرف يوماً كيف يتجرد الكون من عليائه وتتساقط نجوم السماء نجمة، نجمة، وينقلب للكون نظامه فتمطر غيوماً لا ماء...

لم يأتي يوماً في مساحات خيالي تصور أو بقعة من أطياف كما حدث معي حين ولدت، بكيت وأدمعت وصرخت ففطرتي البيضاء لم تعجبها أنامل من التقطني.

فكم كنت حرة الخيال في رحم دافئ الأجواء وكم بردتْ أجنحتي من عواصف مظلمة.

ضج الصمت والبعد منذ يومي الأول فقد فارقت رحم أفكاري ولكن، كان لقائي الأول بأمي الكبرى دمشق ملحمة مخاض، كم بكتني أمي حتى ولدت وكم بكيت ولم أدرك أن دمشق هي من ولدتني.

غيمة وغيمة، وبكاء شاحب للسماء وأمطار روت تراباً من ياسمين.

ولدت ولي أهل وأخوة ودمشق أشبعت جوعي لبراعم الزهور، أسمتني أمي مروة وارتديت اسمي رداء وتعطرت به وصار لي لحناً وجودياً..

وحين فهمت لغة الأسماء أدركتُ أن أمي وأبي لم يختارا اسمي لكن الاسم هو من اختارني، ففي طيات كل واحد منا نجد المعنى القدري لأسمائنا وأسماء وجدتْ نفسها أزلية في حياتنا..

لكم سعتْ هاجر بين الصفا والمروة وكم حاولتْ جاهدة البحث عن الماء والإنس كي تساعد بذلك ابنها ليبقى ويكبر ويغدو مصباحاً ونبياً والابن الذبيح.

كان للاسم هذا معنى قدرياً في اختياره لي ولم أعرف أكنت هاجراً أم إسماعيل الذبيح أو القبلة التي قصدتها هاجر باحثة عن الماء ولم تعلم أن الماء في طيات ابنها إسماعيل وفي أقرب ما يكون من ثغره.

طفلة كنتُ ألعب بين وريقات الياسمين ولضحكات أقراني رنين لا ينسى.

لهوت بطينٍ من طبيعيتي ونسجتُ منه أحلامي قصوراً من أمنيات..

وكان لعبي بين التراب والجبال صرخات من فرح..

لطفولتي ذاك الوقع من الجنون ففي أزقة دمشق وعلى أرصفة التي أظلتها نباتات رسّخْتنا في فؤاد المدينة.

كبرتُ ونموتُ كريحانة تُسقى بعبق وكان لنضارة وجناتي رونقٌ ومزاج من براءة.

كم لهوت ولعبت وكان حلمي حينها أن يغفو والدي واسترق سلمنا وأصعد لأشاهد بساتين القمر وخططتُ كثيراً لأصعد أو أطير إليه تمنيت أن أكبر وتنمو أجنحتي وأحلق كعنقاء قدرية في سماوات الجنون

وأن أكون والحرية طيوراً إلى الأزل...

تمنيتُ أن أحلق عالياً إلى كواكب لم توطئ وأن أعود كلما قسى البرد إلى حضن أمي وأغفو لبعض من حنان وأطير صباحاً.

كان والدي صارماً كقدر أخاف عينيه اللتين تشعان قسوة وقراره كالسيف صلابة وصوته حين يصرخ كالرعد، والدي يرسخُ في ذاكرتي كلوحة من حرب.

أما أمي تلك السيدة الدافئة، صاحبة الوجه الطيب الملامح، هي مرهقة بنا وبإشغالها اليومية.

مليءٌ هو يومها من يقظة عينيها وحتى نوم الوسادة ونومنا.

كان منزلنا ربيعي الطلة مزدهراً كجنة ومزهراً كحديقة باريسية تتسامر فيه الزهور ونسائم الرياح كل مساء ويقبل القمر أحجاره ليلاً.

أذكر مدرستي وصفي ومعلمتي ومقاعد هرئة ودروس لم أفقهها حتى الآن، أحببتُ الرسم كثيراً، كنت أجد في الرسم فسحة لأحلق في داخلي.

جميل هو سرد الذكريات كفلم سينمائي ومسرحية نحضرها ببعض من المتعة وغصة في الروح على مشاهد لم يعد بإمكاننا اليوم حضورها ولا مقابلة أبطالها.

وحين بلغ العمر بعضه الأول كنتُ حينها في الخامسة عشر من عمري أرتاد مدرستي لاعبة بطموحاتي متأنقة في كل يوم كعروس..

في كل يوم اذهب وصديقتي يسرى إلى المدرسة مُجدين بأحلامنا وكانت المدرسة هي الواحة التي نجد فيها ذواتنا ونكون فيها فعلاً أنفسنا.

نحلم أن نكبر ونصير نساء فقد كان في فكر أقراني وبنات جيلي أن السعادة الكبرى هي أن نكبر..

حرية القرار كانت طموحنا فالحرية والسلطة التي عند أهلنا كانت مغرية لنا..

ولم ندرك يوماً أننا حين نكبر سنندم وندمع لنعود صغار لنبحث عن حرية اللعب التي فقدناها بعدما كبرنا وحرية البراءة من الهموم، تلك الهموم التي قيدتنا وقيدت أفراحنا..

أذكر تلك الأيام بحسرة فاقدها فلا هرمٌ عاد شاباً ولا شجرة أورقت بعد يبساها تلك هي سنة الكائنات..

فكرتُ يوماً لو أننا نبدأ الحياة مسنين ونصغر وننسى مع كل يومٍ يوماً رسخ في ذاكرتنا وكنا سعيدين فعلاً لأننا في كل يوم نزداد شباباً ونزداد قوة ومرح ولهواً في الحياة ونزداد نقاء في الذاكرة.

ما أجمل أن نموت ونحن أطفال بلا هموم وبلا ذكريات.

وما أقسى أن نموت محملين بالذكريات التي تجعل من الموت موتين...

أحجية فلسفية لا ندرك مدى صحتها لأنها محض فرضية رسمتها في مراجيح خيالي.

لقد سمعتُ أن الحاجة أم الاختراع وأنا اخترعتُ هذه الفرضية لحاجتي لتعويض نفسي عن حياة لم أكن راضية عنها وعن يوماً كنت بائسة فيه وذاكرة مدماة أسعى محوها.

مرة زارتنا عمتي والتي كانت غائبة عنا لبعض الشهور وعندما رأتني بدأت تمدحني أني صرتُ (صبية) وكلمات أحسستُ بالفخر لسماعها فكم عززتْ ثقتي بنفسي وكم أشبعت دوافع التقدير في.

باتت عمتي عندنا ليلتها وجلسنا نقص الأحاديث بلا معنى ونمزح ونضحك وقد قالت لي كلمة أثارت في أشياء ذات غموض وأسئلة تحتاج الكثير من الإجابات ..

- قالت: كبرتي يا مروة وصار يلزمك زواج.

ضحكتْ أمي وخجلتُ وفخرتُ بنفسي وكنتُ سعيدة لهذا الإطراء فمعناه أني كبرتُ وصرتُ " امرأة "

تساءلتُ في نفسي عدة أسئلة لم أكن أعرف إجابتها ولا خطرت على بالي من قبل؟؟؟

ما هو الزواج؟

وما هو الحب؟

وكيف ينجب الأطفال؟

كيف وكيف وألف كيف وعجزتُ عن الإجابة.

لم أسبح قط في ذاك الإناء من تساؤلات التي أنهكت قدرتي على الطيران وأتعبتني وأنا أفكر..

نامت عمتي يومها في غرفتي وجلسنا وحدنا نتسامر الأحاديث وهي تحدثني عن حياتها وأولادها وحينها سألتني عمتي:

- ألا يعجبك أحد الشباب؟
- جميع الشباب جيدين يا عمتي.
- جمعيهم كيف جميعهم؟؟
- كل الناس خيرٌ وبركة
- لا يا عين عمتكِ، لم أقصد ذلك، أريد أن أسأل هل تحبين أحد الشبان؟ أو يعجبك أحدهم؟
- لا، يا عمتي، أنا أصدقائي جميعهم بنات وأحب كل الناس عمتي، يا عمتي عندي سؤال؟
- تفضلي يا ابنتي
- ما هو حب؟
- بيت وعيلة والحب أن يعجبك شابٌ واحد من بين كل الشباب.

والآن لننم وكفى أسئلة لقد كبرتي ويجب أن نزوجك..

نجلتُ ونمتُ وزادتْ أجوبة عمتي تساؤلات أخرى ولا حد لها..

الحب والزواج هي تلك الأشياء المُبهمة التي لا أعرف ماهيتها وهي التي بدأت أرسم لها في خيالي الأجوبة.

لم أنم يومها وأنا أتخيل وأرسم وأطفو في بحر من تساؤلات

وغفوت ولم تغفو الأسئلة.

تشرق الشمس وتصحو الأرصفة وتستفيق دمشق من غفوتها حينها كنت في صباي وكانت دمشق في طفولتها.

السماء والشمس والشوارع ورائحة الأبنية القديمة هم صور خلدتْ في ذاكرتي ونصبت دمشق نفسها أميرة الماضي والحاضر والمستقبل.

ما أجمل الأمس وما أقساه، أتدرج بين صور قستْ فأرهقتني وأخرى كانت ضحكاتي النصع الذي فيها، إني أقلب الصور باحثة عن عودة باتت مستحيلة.

كنت في المدرسة وعندما عدتُ وجدتُ أمي تخبرني أن هناك ضيوف يودون زياراتنا وهم عائلة معروفة في منطقتنا ويريدون خطبتي.

لم أعرف حينها ما كان يجب عليَّ الشعور به وما الفعل الذي يجب أن أقوم به كنت متفاجئة، محتارة، خجلة وفرحة

صمتت وحسب..

طلبتْ أمي مني أن أعد نفسي لاستقبال الخاطبين وأن أرتدي أجمل ما لدي، فعلتُ كل ما أمرتُ به متشوقة لمعرفة ماذا سيجري في هذا اليوم.

سعيدةٌ كنت بنبأ يدل على صباي وسوف أصير كما كل النساء لدي منزل أستطيع فيه أن أعمل ما يحلو لي..

صار المساء ووصل الضيوف، نظرتُ لهم من ثقب باب غرفتي، رحب بهم والدي وجلسوا في صالون منزلنا..

طلبت مني أمي أن أعد القهوة وأخرج لأقدمها لضيوفنا ونبهتني أن التزم الحياء وابتسم فقط ابتسامة خفيفة و....

دخلتُ الغرفة ونفذت ما طلب مني حرفياً واسترقت نظرات للحضور قبل أن أعود للمطبخ.

لقد كانت امرأة في الأربعينيات ترتدي حجاب أبيض وعباءة سوداء مع وجه أبيض مدور ورجل غزا العمر شعره يحمل من الوقار ما حمل من العمر

وشاب أسمر الوجه طويل القامة لم تكن لدي الفرصة لأطيل النظر إليه لأحفظ معالم وجهه.

رحل الضيوف وأعددت العشاء لوالدي بعد ذلك، ذهبت لسريري وأنا أفكر وتدور بي الأفكار.

هل هذا الشاب سيكون زوجي؟؟

هل هو جميل؟

ماذا سيقول والدي؟؟

غفوت وفي الصباح كالعادة ذهبت إلى المدرسة وما زال عقلي معلقاً بالمنزل..

دمشق

ذاك الحلم ينتفض كموجة مطر ...

ويهب النسيم حاملاً معه رائحة الحنين

وتبكي السنين أيام تناثرت في الريح ...

وأحمل بعض وأركض به عكس أنهار الذكريات ويصرخ مقعدي

يا نجمة الأمس، يا نجمة الأمس ...

آما آن وقت الصلاة ...

فلتسجدي ...

يا آهات الأمس ويا أوجاع اليوم ...

أتبكي الحبيبة على أرصفة المدينة

وأين المدينة؟؟

راح الزمان ولم يبقى لنا من عقارب الساعة وسقف المكان إلا الرحيل

ماذا أقول والعمر صمت

والليل غاب

والأمس مات

وانعتقت نجومي

وغابت أناشيدي

وعلا صوت الحنين

يا سيدة البلاد ... أتعبني السهر

فهل أذنتي للشمس أن تحضر

أما أذنتي للقلب أن ينظر..

لكل قدره وكلٌ له سيره في ذاك الطريق الذي ستكون للخطى فيه وقع قد يسمع وقد لا يسمع ...

والحظ تلك الكلمة التي تصنف كيفية القدر ...

والتي نستخدمها عادة، عنما نكون عاجزين عن الوصول إلى ما نريد أو أننا عاجزين عن الوصول إليه بطريقة سريعة غير متوقعة ...

اليوم وأنا أسجل وأدون ما جرى في سالف الأمس يرتجف قلمي كثيراً وأتحسر لعلي سلكت غير هذا الطريق الذي أوصلني إلى هنا ولكني أدرك مهما كان الطريق فالنتيجة واحدة...

لقد وصلت في سرد أحداث حياتي عندما وقف القدر على بابي بعريس لا أعرف عنه إلا اسمه ...

وكان الخيار والاختيار ليس ملكي وليس لي

ففي مجتمعي القرار والخيار والاختيار للرجال فقط ...

وانتظرت حينها ذلك القرار الذي سيغير حياتي وأنا أثق بأن والدي سيُحسن

الاختيار لي وأن يدا والدي ستخرجني إلى ربيع السعادة ...

والقرار سيصدر مساءاً بعد عودتي إلى المنزل عقب الانتهاء من المدرسة، وأنا

في ترقب لهذا القرار عدتُ وتناولت بعض الانتظار وخلعتُ ثوب طفولتي

وأتت أمي لتقول لي أن والدي يريدني في غرفته، كنتُ عاجزة عن تمني قراره

بالرفض أو القبول، سرت إلى والدي وجلست أمامه وقلت له:

- لقد أخبرتني أمي أنك تحتاجني.

هز والدي رأسه وأشار على جانبه وقال: استريحي هنا.

- والدي: يا ابنتي كبرتي وإن مآل الفتاة إلى بيت زوجها وهو شاب محترم ولديه عمل وأنا رأيي أن نقبل به ونعقد قرانك عليه، ما هو رأيك يا بنتي؟

قلت له ولا أدري ما الشعور الذي يجب أن أشعره: الرأي رأيك يا بابا.

- والدي: اتكلنا على الله سوف اخبرهم وإن شاء الله بعد شهر أو شهر ونصف سوف تكوني في بيت زوجك.

وزغردت أمي..

وذهبتُ إلى غرفتي خجلة واستلقيت على سرير وردي الأحلام وبدأت أنسج مستقبل زاهي، عرسٌ ومنزلاً وثياب وحياة بهية...

تسارعت الأحداث وكنت سعيدة وصار لي حياة ومنزل و..

وغفوتْ ...

في طريقي إلى الحلم الذي ساعدني أقراني على رسمه وهو "الزفاف"

لم يكن لدي بعد تصور حقيقي أو فهم لمعنى الكثير من المفاهيم التي كنتُ مقبلة عليها وكل ما فكرت فيه حينها أنني إلى السعادة ذاهبة!

لم تخطر في بالي فكرة غير تلك ولم أحاول فهم ما سيجري أو فهم بعض المصطلحات "أطفال، حب، هم"..

كانت الكثير من المفاهيم مُبهمةً بالنسبة لي وكنتُ عاجزة عن فهمها ونجولة للتساؤل عنها.

وكان عرسنا ومضى شهر (العسل) بسرعة، كان للفرح رقص في نفسي وفي نفوس الحاضرين.

لا أحب سرد ذكرياتي في تلك الأيام ولا أرغب في إعادة تشغيل ذاك الفيلم الذي كنت أحد أبطاله.

أذكر أنها كانت غفوة، كبوة وحسب..

لقد غفوت لعام واستفقت في المشفى ألد..

وبعد مرور ذاك العام الذي أفضى بي إلى الحمل تسعة أشهر وكانت نتيجته اليوم تعرقتُ كثيراً وعرفتُ أني ألد بعض من جمال وبعدما أتعبتني قررتْ مولودتي الحضور..

زغرد أقاربي وفرحوا ووضعوها قربي، قبلتُ رأسها وشعرتُ أجمل شعور في الحياة..

لقد صرتُ أُمًّ وصار لدي ابنة جميلة كالربيع، هي أجمل الزهور وأبها النجوم ..

حَزِنَ زوجي لأنني أنجبتُ "أنثى" وحملها وهو يعتصر قلبه وعندما سألته إحدى النساء عن الاسم الذي سيختاره أجاب بغضب: أنا لا أسمي البنات لتسميها أمها..

شعرت وكأني أنجبتُ خطيئة أو أني أنجبت رجساً من عمل الشيطان وإني أذنبت في حق الإنسان!

استغفر الله العظيم..

لكن مولودتي ملاك جميل، هي بريئة، قطعة من قلبي..

سألني النساء ما الاسم الذي سأختاره لها؟؟

فكرت لوهلة وكان أول اسم ينطقه قلبي "هبة"

فقد كانت طفلتي جميلة بهية، هدية من مبدع الجمال هي هبتي..

وهب لي ربي هبة لتغير حياتي ولتكون بستاناً من زهور وخير يحمل عني تعبي

وغفوت بعدها..

لقد حاول الشيطان جاهداً ومنذ بداية يوم آدم الأول أن يرسم في عقيدة الذكور أن حواء هي الشهوة والخطيئة، فهي اللذة التي يسعى كل الذكور للحصول عليها وهو تلك الخطيئة التي يجب أن يبتعد عنها..

حاول كل الأبالسة ربط عيون النساء وألوانها بألوان الفاجعة والخطيئة..

وقد رسخ هذا اللحن القبيح الشاذ في ذاكرة الإنسانية وصارت حواء هي أنثى العار أو الخوف من العار..

ما زال وأد الأطفال الإناث ظاهرة مستمرة ولكن أخذت أشكال مختلفة وأكثر تقدماً..

لقد حاولت كل الأديان والنظريات الأخلاقية محو هذا العار الفكري الذي لحق بالمعتقد الذكوري حول حواء..

تمثل حواء ذلك الجانب الربيعي في الإنسانية، حيث تنبع الرحمة والمودة والحنان من بساتين الأنوثة..

نصف القمر هي وهو نصفه الآخر ومعاً هم ينيرا مسيرة الإنسان والبشرية..

الريح، أغمضت عيني على شرفة المنزل وتركت للريح حرية العبور في مساحاتي..

شاردة..

تخطرُ في بالي أفكار لم تخطر من قبل، أفكار مُبهمة حتى كدتُ أتوه فيها..

أقف أمام أطلال سنين عبرتها بكثير من العناء وحملت أسفاري فيها على وهن..

أرنو أطلالاً لذكرياتٍ لم تعد مساحاتها موجودة في حدود حدقة ذاكرتي..

وأغفو..

وكان الاشتعال...

لسنين مضت أطفئ الجلاد كل أضواء السماء وترك الشعب مغمض العينين باحثاً عن بعض خبزاً على رصيفاً حفر لتمديد المياه التي لم تأتي..

قست ضربات الجلاد وأسكتت أصوات الجماهير..

واعدمت الكرامة والحرية والبطولة في ساحات حماة ومنع التجوال في شوارع الشمال..

كل هذا لأن الجلاد لم تعجبه ضحكات الأطفال ولا يروق لأذنيه سماع الموسيقى التي يعزفها غيره..

هذا ما أخبرتني به جدتي في إحدى الليالي الدمشقية عما جرى في أحداث 1982.

وطلبت مني أن أجعله سراً وأحكيه للأجيال القادمة عندما ينمو الربيع على قمم الجبال.

فجأة..

وعلى غفلة منا، ضجت حياتنا بألف شريط من الأخبار..

أحرق تونسي نفسه.. وأحرق الدنيا معه

لقد أحرق نفسه احتجاجاً على مأساة عاشها ويعيشها كل الشباب في بلده..

لقد كان الأكثر ثورة وتمرداً وعصياناً ويأساً وأملاً وكان الأول اشتعالاً

بعد احتراقه.. ثار كل شيء..

أحرق الضمائر وأشعل النخوة، أحرق النظام والحكام والعادات والمدن

لقد بُدأ من رماد ناره حياة جديدة ومختلفة..

تراه لم يحرق إلا خوفنا وأشعل الخوف في الأنظمة..

أحرق خوف آلاف الشبان الذين صاروا بعده لا يهابون الموت..

اليوم أرى تلك الأحداث بعينٍ أخرى غير تلك التي كانت لدي حينها

بكيتُ لاشتعال ناره وكما بكى الكثير من الناس حزناً على محرقته

وبدأت التظاهرات في تونس ومصر وعدة بلدان عربية احترق الخوف فيها،

وبدأت قلوب الناس تثور مشتعلة لتحرق ذلك الأمس الذي جعل من ظلامه مقبرة الحياة..

كان قلبي ينتفض مع كل متظاهر ثائر في البلاد العربية وأصرخ معه وأدعو له وأبكي حين يُدمى أحدهم..

فدماء الثوار غالية..

أخذتنا ثورة مصر إليها بأبطالها، كنا شاخصين أمام التلفاز نشاهد شعباً قرر أن يحيا ..

كم بكيت لواقعة الجمل وشهداء مصر؟

لكم كان صادماً لنا كل شيء..

كنا في سوريا نتفرج بذهول، فكل شيء تجسد في شباب أطلقوا لأرواحهم عنان الحرية..

في سوريا خاف النظام من تحرك قلوب الناس نفس تحرك إخوانهم في مصر وتونس، أظنه أدرك أنه يحكم بنفس الطريقة التي أحرقت الخوف في قلوب ثوار مصر وتونس.

تغير وضع البلاد وكأنها بدأت تتأهب للنهوض ولكن من في سوريا سيحرق نفسه..

كان النظام يبحث دوماً عن شخص في نيته أن يحترق.

يمنع الكبريت والوقود، يبحث عن وقود وكبريت الثورات

كثر جواسيس المساجد والشوارع وصار الناس أكثر خوفاً..

وأيضاً كثرة المسيرات، المسيرات التي تصيح لكي يطول عمر القائد..

كان فعلاً بلداً يستعد أن يتقد..

حينها كانت ابنتي كل حياتي وكان كل جهدي بسمتها وكل عمل أقومه هدفه رضاها، فكانت لحياتي لِذتها.

أشاهد التلفاز والأخبار وأعيش مع ابنتي..

زوجي الذي ما كان يعود للمنزل إلا لينام ويأكل وما كان ذاك حدث مهم في حياتي وحياته.

كانت علاقتنا تمر بروتين جاف..

لعلَ له حياة غير التي لنا..

لعلَ وجوده خارج المنزل مرتبط بغيرنا، بامرأة غيري وأولاد صبية لديه أو يطمح أن يكون لديه.

أحلم أن أُعلم ابنتي أن أراها تدرس وتتخرج من الجامعة، تعمل في مكان أنيق أن تحقق أحلامي..

كم تمنيت أن أدرس وأتعلم، أن أزور الجامعة طالبة فيها..

أن أعمل وأن.. وأن..

لعلَ ابنتي تحقق أحلامي عني..

أحس السوريون بالاختناق نتيجة زيادة بطش القبضة الأمنية..

ومازال البحث جارياً عن نساء ورجال في نياتهم الاحتراق

كان من المؤكد أن شيء سوف يشتعل، سرتُ حينها في الشوارع ولفت نظري جدران المدينة، على الطرف الأيمن من حارتنا كان الجدار مطلي بعلم الحزب ومكتوب عليه شعار في منتصفه "وحدة، حرية، اشتراكية"

فكرت ملياً يومها بمعنى هذا الشعار كأنني أراه لأول مرة

في مدرستي وكل صباح كان مفروضاً علينا ترديده فقط.

أما معناه فلم يشرح لي ولم أفكر به قط..

ما معنى الوحدة؟!

هل تعني العيش وحيدين منعزلين عن العالم؟؟

أو تعني التوحد مع باقي الدول العربية، لا يعني هذا الشعار لي الكثير ولا أفهمه

لكن الحرية على هذا الجدار هل هي ذاتها التي نادى بها ثوار مصر وتونس فهل نحن نعيشها فعلاً..

أعتقد أني يجب أن أسال شخصاً أكثر ثقافة مني حول هذه الكلمات وبالنسبة للاشتراكية لن أحاول فهمها أبداً..

سوف أسال جارنا العم أحمد فهو رجل كبير ومثقف ومن المؤكد أن لديه الأجوبة على كل أسئلتي.

قطعت الشارع ووصلت إلى الساحة حيث عُلق على الجدران صور للرئيس وكتب قربها كلمة (منحبك).

هل أحبه؟؟

سرتُ قليلاً حتى رأيت جداراً كتب عليه يمنع الاقتراب والتصوير (منطقة عسكرية).

كل الجدران في بلدي مرسوم ومكتوب عليها شعارات غير مفهومة وصور للرئيس؟

ما الذي يختبئ خلف هذه الجدران وما الذي يجعل منها صاحبة هذه الأهمية!

ولِمَ لم أجد كلمة واحدة للناس على هذه الجدران، لم أجد كلمات تعبر عنهم

هل يسمح لي أن أرسم زهرة على جدران منزلي؟!

أحسب أن الجدران ملك الحكومة، وحدهم يخطون عليها كي نقرأ نحن..

إن الحكومة تخاف الجدران الفارغة لأنها تترك المجال لغيرهم للكتابة.

لذلك كل الجدران مكتوب، مرسوم، معلق عليها..

والفارغ منها منطقة عسكرية يمنع الاقتراب والتصوير!!

عدت للمنزل وقررت أن أزور العم أحمد وزوجته الطيبة،

دققت بابهم الخشبي وفتحت لي بوجه باسم، هي امرأة في الخمسين من عمرها ذو طابع طيب وسموح..

استقبلوني بمودة ومحبة

كان العم أمام التلفاز الذي ينقل أحداث الاعتصامات والتظاهرات، سألته:

- عم أحمد عندما كنت في الشوارع قرأت على الجدران (وحدة، حرية، اشتراكية)، ما هم؟

تنهد العم وغير طريقة جلسته وابتسم لي وقال:

سأخبرك ما هم وما معناهم عند كاتبهم الذي كتبهم على جدران بلادنا..

هم كتبوهم لنا ولا يهمهم أن نفهم نحن ما هم؟؟

ولكن،

الوحدة هي شعار كذاب لم يتحقق ولن يتحقق والاشتراكية هي كلمة ترمز لعقيدة في التفكير السياسي تبناها الاتحاد السوفيتي سابقاً وروسيا اليوم بعد زواله وتفككه.

وهي تدل أننا دولة سوفيتية سابقاً وروسية اليوم..

أما الحرية..

فهي الحرية من الاستعمار الغربي والوقوع تحت الاستعمار الروسي..

أما بالنسبة لي فالحرية هي كل شيء..

كان في درعا باقة من الأطفال يلهون بالحصى والأحجار ويرسمون بالطباشير أحلامهم..

وهم يلهون في مدرستهم وجد أحدهم جداراً فارغاً من أي كتابة لم يكتب عليه من بين كل جدران مدرستهم..

من المؤكد أن القوات الأمنية الموكلة بأمن الجدران وحمايتها نسته!

دُهشَ الأطفال وتفاجأوا لمشهد جدار بلا كتابة بلا رسومات وصور للقائد..

إنها لوحة فارغة تحتاج من يرسم، مساحة حفزت خيالهم للكتابة..

وبسرعة الطفولة وجرأتها أخذ أحدهم لوح طباشير ورسم شمساً وابتسم لرفاقه

بدأوا يرسمون، كانت لوحة من أحلامهم، رسموا منزلاً وشمساً، شارعاً جميلاً..

رسموا بلداً وكتبوا على الجدار وفي لوحتهم (حرية) ويسقط مغتصب الحرية.

وعندما انتهوا، وقفوا جميعاً ينظرون لوحتهم وابتسموا لأحلامهم ولكن من سوء حظهم لاحظهم المخبر المتخصص بأمن الجدران وسجل أسمائهم.

وأعد تقريراً بالحادثة وكتب فيه كل تفاصيل الحادثة مع شرح كامل للوحة والطباشير وعيون الأطفال..

وصل التقرير بسرعة للفرع المتخصص وحينها أطلقت برقية بحث للقبض على الأطفال.

أوكل لكل الفروع الأمنية والمخبرين مهمة اعتقال الأطفال الذين ارتكبوا جريمة الحلم والرسم والذين اعتدوا جهراً على الجدار.

وخلال نصف ساعة أحضر الأطفال المتهمون بالحلم أمام السجان وبدأ استجوابهم.

هل أنتم ضد النظام؟؟

لم يفهم الأطفال السؤال فصمتوا..

صرخ السجان بهم فاعترف الأطفال أنهم رسموا أحلامهم وأنهم اعتدوا على جدار المدرسة..

وأصدر السجان حكماً وقرر أن يحاكم الأطفال محاكمة ميدانية فالأمر عظيم وخطير..

كان الحكم أن تعذب وتكسر أصابع الأطفال وأن يحبسوا ويذلوا ويذل أهلهم كي لا يعودوا للحلم والجدران..

لا يجوز لهم الحلم ولا التفكير فيه لأن الحكومة تمنع ذلك..

نفذ الحكم وعوقب الأطفال وأناملهم..

لكن..

لم يكن ما حدث أمراً عابراً..

بدأ البركان يغلي ويتأهب الانفجار باحثاً عن الحرية والكرامة

كانت كل بساتين البلاد متعطشة لأنهار الحرية..

وفاض النهر من درعا..

ونبتت بسرعة أزهار الحرية وتوحد عَبقها، وفاح في شوارعنا هتاف الحرية..

لم يكن الغاصب سعيداً وصوره تُمحى والحرية تكبر وتنمو وهو يصغر..

فبدأ يحشد سواده محاولاً بكل قوته إيقاف سيول الحرية وضرب بكل قوته لعل النهر وأسماكه يتوقفون قسراً..

ذخر دباباته وطائراته ليغتال الشمس والأنهار والطيور والأسماء..

واستعد الغاصب فعلاً ليغتال الحرية في أرض الحرية..

أفقت وقد وجدت زوجي يضع ثيابه في حقيبة سفر متأهباً للرحيل..

سألته إلى أين تنوي الرحيل؟؟

فأجاب أن وضع البلاد خطير لذلك سيذهب إلى لبنان ويجهز أمور السكن ويُأمن عمل ومن ثم سيبعث لنا لنلحقه..

لم يترك لي مجال لأناقشه، رحل بسرعة..

لعله الخير..

سأخبر عائلتي واذهب للعيش معهم في ريف دمشق..

يبدو منزلي شاحباً، الحياة مخيفة..

كل يوم يعلوا صوت الرصاص وهو يلاحق المتظاهرين في شوارع دمشق..

مع كل كلمة حرية.. رصاصة

وفي كل يوم يحلق للمساء شهيد..

رحلت إلى منزل أمي وأبي ولم يكن طقس الرصاص عندهم مشمس بل كان ماطراً دائماً..

ليس ذلك بالغريب في سوريا..

لأنها بلد قد اشتعلت نارها..

غفوة من بعض ألم ..

لم ولن تسرد ..

مضى ما مضى على الثورة..

ازدحمت الشوارع بضجيج زفاف الشهداء..

تغيرت الكثير من الأمور في بلدي.

فقد صار الغاصب عارياً من كل خداع، متوحشاً كذئب ينهش من لحم الأطفال والنساء ليشبع حقده..

كبرت طفلتي قليلاً وصرت أخاف عليها أكثر وأكثر..

الغاصبون يقصفون مدننا ويدمرون منازلنا ويحرقون بقذائفهم حدائق قلوبنا..

وبدأ الموت يفرض مسلسله الذي لم ينتهي..

صار عَبوه

مضت الأيام وصار عمر الثورة خمس أعوام، خمس أعوام تغيرت فيها معالم البلاد، تغير لون الشوارع والأرصفة وحتى وجه الإنسان تبدل، صار أكثر كآبة وأكثر حزناً..

ووجوه الأطفال آهٍ كم بكت..

صارت وجوههم معلقة شعرية ترثي أباً، ترثي أماً، ترثي بلاد دمرت بالحديد والنار..

تغيرت معالم كل شيء حتى كدت لا أعرف بلادي..

بكت مدينتي وناحت جدرانٌ هوت من قذائف سقطت من طيور إبليس..

لم يبقى لنا من بلادنا إلا الحطام..

علينا أن نبكي كثيراً لأننا خسرنا وطننا وصرنا قيد قبراً في الحياة..

محاصرين كنا وكان الجوع يتربص بنا، يتربص عند مدخل كل حي وعلى أبواب الأفران وفي بيوتنا ومطابخنا الفارغة..

بكت طفلتي جوعاً وسرتُ للمطبخ ونظرتُ باحثة عن شيء يُأكل.

كان الفراغ يسيطر على كل أوعية الطعام والمونة وكان امتداد " لا شيء" يبدأ من المطبخ إلى معداتنا..

كم اشتقنا الخبز والسكر والقهوة..

كم اشتقت لرائحة القهوة، لو كان عندي بعض منها لأشتمها فقط.

يتعبني الحنين للطعام أكثر من ألم معدتي التي اشتاقت لهم..

يذكرني الحنين بفطورنا الصباحي، بصحن الزيتون وزيت وزعتر، جبنة وشاي و.....

وأكاد أموت جوعاً..

عليَ فعلاً ألا أفكر في الطعام كي أنسى جوعي..

أن أرضى بواقع مطبخي المحاصر..

بوقع الغبار فيه..

هناك حيث صارت اللقمة حلم وصار المطبخ موطناً لجوع والألم

لا شيء يأكل عندنا بعد سنة من الحصار أكل فيها الحصار كل شيء حتى لحمنا

وماذا أطعم ابنتي؟ بحثت جاهدة، لم أجد شيء يُأكل..

نظرتُ بابنتي الشاحبة وكأن عمرها الدهر لقد خارت قواها ونحل قوامها

وتنشف وجهها، ماذا أصنع؟؟

لو استطعت أن أطعمها بعضي لفعلت..

تحرقني دموع في عيني..

صار حلمنا كسرة خبز؟؟

أبكي بحرقة الثكلى أبكي كل شيء..

وطني وابنتي وجوعي وضعفي وأبكي كسرة خبز أُشبع فيها ابنتي..

يخنقني الحصار يحاصر روحي..

قررت أن أطعم ابنتي بعض من أوراق شجرة على باب بيتنا قطفت الأوراق كميت يقطف كفنه ووضعتها في قدر ماء قدمتها لابنتي التي أكلتها بدون خيار ولا قدرة على الاختيار..

توضئت ببعض ماء وصليت لله..

بكيت ضعفاً في حضرته سجدت في خشوع..

وشكوت حالي..

يا ربي يا رب العباد يا خالقي، يا خالق السماوات والأرض

أشكو لك ضعفي أشكو لك جوعي جوع أهلي وجوع ابنتي..

يا رب ضعفت

يا رب ضعفت

يا رب ارحم ابنتي يا رب احفظها

ارزقني كي أطعمها

يا رب ارحمنا

يا رب ضاق بنا الحصار فاختنقنا

تأكلنا القذائف ولا نجد ما نأكل..

يا رب إن متنا جوعا فأطعمنا

يا رب تخلى عنا كل عبادك

ولم يبقى لضعفنا إلا أنت..

ولم يبقى لضعفنا إلا أنت..

وفي وسط خشوعي وابتهالي صاح صوتٌ

غارة..

غارة..

احتموا..

تركتُ صلاتي وركضتُ نحو ابنتي، حملتها وأسرعت باتجاه القبو مع أهلي

وابنتي التي أصفر وجهها خوفاً..

جلسنا في القبو..

وبدأنا نسمع صوت عزفاً الموت في مدينتنا..

الطيران يُغير علينا بكثافة يرمي قنابل تصير كشلالِ نارٍ تدب فوق البيوت لتقتلنا

يسمونها في الأخبار قنابل عنقودية..

وقنابل أخرى تحرق الأجساد وكأنها نار تلتصق بالجسد فتحرقه لعلها الفسفور.

أذكر تلك المرة التي قصفنا فيها بما يسمى بالكيماوي..

كنت اسمع عنه كثيراً وأن الشخص يموت اختناقاً..

لم نشعر بصوت قنابل أو قصف كما كل مرة..

سمعت الناس تصرخ وتطلب الإسعاف..

وضعت كمامة على فمي وركضت لابنتي التي لم تكن قد احتملت كمية الغاز

كانت تختنق امسكتها بيدي كانت تشهق..

إنها تموت..

لم أعرف حينها ما أفعل كانت تنتفض وتنتفض..

خلعت كمامتي وبدأت أقوم بتنفس اصطناعي لها لعله يفيد ويساعدها على الحياة..

بدأت أسعل وأسعل لقد تنشقت الغاز السام..

وبعد إعصار من السعال لم أكن فيه قادرة على رؤية ابنتي فكل شيء غاب..

فقدت وعيي..

وصحوت بعد وقت وقد كانت ابنتي قربي..

لقد نجونا..

تمكن المسعفون من مساعدتنا..

لم نمت..

كان لنا فرصة لنحيا..

لقد مات حينها أخي وأبي وأطفال أختي وطفل أخي لقد ماتوا اختناقاً

لم نمت اختناقاً أنا وهبة لكن قد يكون قدرنا الموت جوعاً أو مدمرين قصفاً!

هو الموت قدرنا الذي لا مهرب منه..

ضيفنا الذي لا يفارق مدينتنا..

صديقنا الأوفى ومخلصنا الوحيد من عذابنا وألمنا اليومي..

لو متنا معاً أنا وابنتي لكم كان ذلك أمراً سعيداً..

انتهت الغارة بعد أن قصفت مبنى ببرميل متفجر وضربت صاروخين في سوق الخضار وآخر في تجمع سكني..

لقد رحل الطيار منتصراً فرحاً بقتل السوق والأطفال وهدم بيوتنا..

ثقلت عليَ الذكريات.. صعدت إلى سطح المبنى..

وبدأت أنظر مدينتنا..

ذاك منزل صديقتي هبة الذي ماتت تحت ركامه وتلك الحديقة التي لعبت فيها في طفولتي وحرقت يوم قصفتها الطائرة بعدة صواريخ..

وتلك مدرستي لقد هدمت عندما سقط فيها صاروخ فراغي لقد كانت حينها مجزرة حيث توفي عشرون طفلاً بسبب القصف.

مدينتي..

ركام، ركام، ركام

شلت أيديهم..

يا رب

اليوم مدينتي تبدو كصحن من المن والسلوى عبث فيه ضباع الكهوف..

نخربوه وجعلوه ركام وأشلاء..

لم يبقى من المدينة إلا بعض المباني والركام..

وأرواح سكانها الموتى والباقون الجياع..

كنت في الشارع حين صاح أحدهم غارة..

كانت ابنتي في المنزل ركضتُ بكل قوتي لكي أصل إليها وأنزلها إلى القبو..

ركضت وكان الناس يركضون من حولي كنت خائفة على ابنتي

بدأت أسمع صوت حفيف القنابل وفجأة دوا الصوت صارخٌ

كان ارتطام الموت بالأرض مدوياً..

وسقطت..

أفقت في المشفى كان الألم يجتاح جسدي لم أستطع الحديث للسؤال عن ابنتي

لم يكن لدى المشفى الكثير من المعدات لمساعدتي

كانت حالة ساقي الأيسر حرجة..

هذا آخر ما سمعته قبل أن أغفو من أثر المخدر..

أفقت في منزلي كانت ابنتي قربي تبكي حاولت ضمها بيدي اليمنى لكن يدي كانت مليئة بشظايا ومددت يدي اليسار لإليها فاقتربت وقبلتها..

كنت أتألم في كل موضعاً من جسدي كل شبر كان يؤلمني..

وكانت الصدمة عندما أخبروني أنهم بتروا ساقي اليسرى..

حشرجت الكلمات في حلقي وانفجرت كل الدموع قهراً وحزناً..

لقد بتروا ساقي بتروا قدرتي على الحركة قدرتي كلها..

كيف اعتني بنفسي وبابنتي كيف وكيف؟

يا رب..

لِمَ أنا؟؟

هل أذنبت؟؟

استغر الله

يا رب لقد حُرمت المشي والأكل والحياة يا رب أمتني

استغفر الله العظيم..

يا رب صبرني..

يا رب ارحمني يا رب خلصني

يا رب ساعدني..

صمت الألم من أثر المسكن..

وغفوت..

تمضي الأيام ومن يكتب البلاء يخط في نفس الكتاب الصبر..

مضت الأيام وتحسن حال يدي المصابة شفيت وصرت قادرة على تحريكها بشكل اعتيادي وبدون ألم..

وجرح قدمي التئم وصرت امشي قليلاً باستخدام العكاز..

ابنتي صارت أكثر حزناً ولكنها كبرت بإصابتي صارت تقترب مني تهتم بي وتساعدني على المشي..

تبتسم لي لتخفف عني..

مازال الحصار يخنق مدينتنا ويجمعنا مع الموت في مدينة واحدة.

اليوم أنا أضعف، عاجزة عن كل شيء ولا أملك أي شيء..

كيف سأخلص وما الخلاص..

وبينما أفكر وقلبي مرهق من الألم..

دخل أخي وأخبرني انه حدث اتفاق وسيتم إخراج المصابين والنساء والأطفال وتم وضع اسمي..

سأخرج إلى إدلب بعد فترة مع الهلال الأحمر..

الطريق الذي يأخذنا من دمشق إلى المنفى كان طويلاً مليء بالقهر وتركت خلفي في ذكرياتي، أحلامي، أهلي وبعض مني..

وتوجهت نحو المنفى الذي لا أدري إلى أين سيأخذني..

هل سنعود؟

هل نعود إلى دمشق الياسمين؟ دمشق التي تبكي علينا ونبكي عليها..

وضعت يدي على نافذة الحافلة وكأني ألوح لوطني للمرة الأخيرة مودعة إياه.

وكأنها المرة الأخيرة التي اتنفس فيها هنا..

لا أدري هل يجب أن أبكي لهجرتي أم أفرح لخلاصي من الحصار..

يا حسرة المهاجر ويا بكاء أرملة الوطن..

يا أخر تنهيدة في لهذا الوطن..

قسراً

صعدنا الباص وجلست ابنتي تشاهد من النافذة ازدحام الناس..

وبعد أن اكتمل المسافرون انطلق الباص..

ترى هل نحن مسافرون؟!

أم مهجرون قسراً، جوعاً، موتاً..

كانت ابنتي مذهولة بكم الأحداث الذي يجري حولها

نحن الكبار لم نحتمل فكيف هي؟!

أظن أن حجم التغيرات التي حصلت في حياتها أنضجها كثيراً،

جعل في داخل طفلتي شيخاً..

هي قربي وقلبها الذي تألم كما لم يتألم طفل ووجهها الذي اعتصر من أثر الجوع

مضينا وبكيت وأنا أزف نفسي مهجرةً منفية..

وبدأنا نمر بالمدن السورية وكانت حواجز الجيش النظامي تملأ الشوارع..

مررنا بحمص، أقصد ما بقي من حمص..

كانت المباني مهدمة تقترب من بعضها لعلها تدفئ نفسها من البرد بعد أن عراها القصف والدمار..

حمص اليوم أكثر حزناً وألم..

تشتاق من رحلوا وتتألم من سكنوا جوفها..

هي تلك الجريحة التي تتأهب الشفاء..

تنزف وتعلم ألا جرحاً استمر أبداً..

أرض، تراب حمص، ربيعٌ يستعد القدوم..

سقيت أرض حمص بأطهر الأروح..

تلك الأروح التي أقبلت بكل استعداد لأن تتحول وتدور تلك الدورة المذهلة..

تتحول من انسان إلى عبق..

لتبقى حمص مدينة، أميرة، زهرة فواحة على مر العصور..

قدم لنا أحد العاملين في الهلال الأحمر الماء وبعض الطعام وكانوا لابنتي

كعرس فرح بعد عام الحصار الذي عشناه..

أكلنا وكان الطعام ممزوج بالألم والذل..

نعم كان ذلاً

لقد حاصرونا وحرمونا كل شيء..

قصفونا..

دمروا بيوتنا..

قتلونا..

قتلوا أهلنا..

كل هذا..

كي يقتلعوا الزهور من تربتها..

ليخنقوا الأسماك في بحرها..

كل هذا لكي ننهزم..

ويجعلوا كل واحد منا ورقة خريف تسقط بعيداً عن مدينته..

نسقط جوعاً

نسقط موتاً

نسقط حزناً

نسقط نزوحاً

وفي كل الأحوال نحن نموت..

ويبقى مرادهم أن تبقى مدينتنا وحيدة بلا أوراقها وأزهارها..

وبلا عبق..

قطعنا طريق نزوحنا ومنفانا عن وطننا..

إن الطريق طويلاً جداً..

متعب للقلب وللروح..

كل متر يمضي يبعدنا عن مركز ربيعنا عن سر عَبقنا..

كان عبق دمشق مزعجاً حد اتفاق الجميع على نسفه..

ونسفنا..

مررنا بكل المدن السورية التي تغيرت ملامحها..

وصلنا إدلب..

استقبلنا الكثير من الناس الذين لم نعرفهم..

كانت وجوههم توحي لنا وترشدنا لتقول..

اطمأنوا..

أخذنا باص آخر إلى تركيا..

أنزلنا الباص وجلست وابنتي في الشارع..

اليوم أنا هنا..

خارج خريطة بلادي وبعيداً عما تبقى من عائلتي..

ولكن ماذا أفعل.. كيف أكل وأين أنام؟؟

أنا الوحيدة الثكلى..

وجوه الناس غريبة هنا

جسمي الضعيف لا يعينني على المشي..

عيوني أحسوا ما في داخلي من حرقة واحترقوا معي وذرفوا سيلاً من دمع لعله يطفئ ما أحترق مني..

لكنه زاد ناري حرقة واشتعال حزني..

أحست ابنتي بي ضمتني وقبلتني وابتسمت

أخبرتني وقالت لي: سنرجع ومسحت دمعة عن عيني..

ما زال الفكر يثقل بي والهم يمنعني حتى عن الحركة..

وإلى أين سيأخذني هذا العالم الذي ضيعني..

وفي ضياع أفكاري..

غفوت..

مدت يدٌ لي أفاقتني من غفوة ضياعي

فإذ هي فتاة..

قالت لي:

أنا سورية أنا هون لساعدك..

حِصَارُ عَبَقْ

منذ ولَدت و الياسمين يتحرك في خلايا قلبي و الروح تتشبع بالياسمين ...
لكم أحببت الياسمين وكم اعطاني لذة في الروح، جميل هو الياسمين وبهية هي دمشق راسخة في قلب غراماتنا و في حروفٍ خطت ذكرياتنا .
حاولت جاهدةً البحث عن سر عمق ذاك الأثر فينا، أثر تتركه الشوارع و الأرصفة في مدى من خطو عليها.

الكاتب ماهر دعبول
الحسابات الشخصية
@maher.d3boul
@maher.d3boul
@maherd3bol

تصميم الغلاف
Y-DESINGER
يوسف عليطو